

# الغنائم والأقليات في أدب



CZECH  
SLOVAK  
INSTITUTE OF  
ORIENTAL  
STUDIES

بقلم: عصام خوري

المعهد التشيكي السلوفاكي للدراسات المشرقية

Aug 2022

## المحاور

3	..... المدخل
4	..... الدروز
4	..... العلويين
5	..... الشيعة
6	..... المسيحيين
6	..... 1. مسيحي المدن:
6	..... 2. القرى الخالية من المسيحيين:
6	..... 3. القرى المأهولة:
7	..... الهيمنة السياسية في إدلب
7	..... • الحكومة المؤقتة:
7	..... • حكومة الإنقاذ:
7	..... الضغط لدعم الأقليات

## المدخل

مكتب الغنائم، وهو مكتب تابع لحكومة الإنقاذ التي تتبع إداريا لهيئة تحرير الشام "النصرة سابقا"، ومهمته الاستيلاء على عموم العقارات والأراضي التي تتبع لشخصيات موالية للنظام، أو أي شخصية غير مقيمة في محافظة إدلب، وتم تأسيس هذا المكتب عام ٢٠١٦ بإشراف من الداعية "عبد الله المحسني"<sup>1</sup>.

حيث وفر هذا المكتب الكثير من إيرادات حكومة الإنقاذ، التابعة لهيئة تحرير الشام، ليصبح موردا ماليا يضاف إلى باقي مصادر هذه الحكومة.

الكثير من المسلمين السنة المعارضين غير المقيمين في إدلب لم تطال ملكياتهم أي ضرر، وباتت ملكياتهم مدارة من قبل أقاربهم وفق توكيل من صاحب الملكية، إلا أن ذلك كان ممنوعا على المسيحيين والدروز والعلويين حيث تمت مصادرة ملكياتهم، وتمت عملية توزيعها على الأسر السنية النازحة، شريطة أن تقدم الأخيرة ما نسبته ٤٠٪ من انتاجها الزراعي لبيت مال المسلمين "نوع من الضريبة".

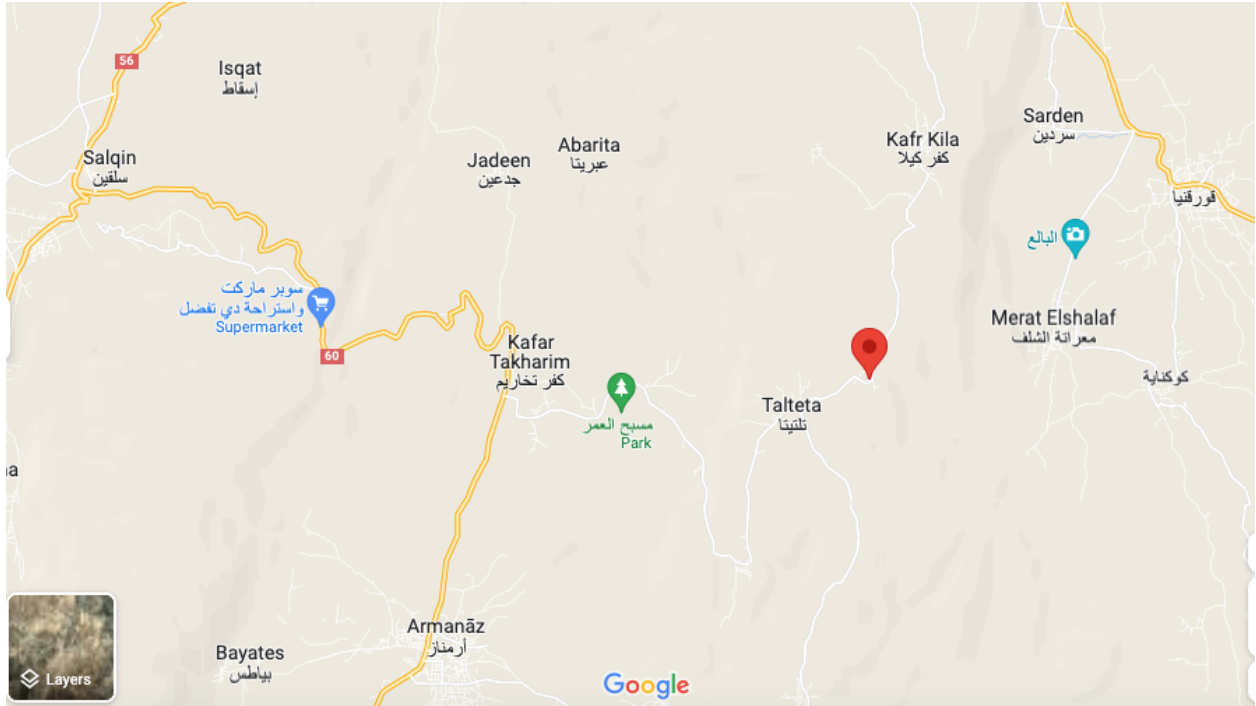
طبعا منازل المسيحيين والدروز الخالية جرى تسليمها أيضا لمسلمين نازحين، ولم يتقاض مالكيها الأصليين أية أجارات، أما المنازل الفاخرة منها، فكانت من نصيب الأمراء وقادة الكتائب الإسلامية.

---

<sup>1</sup> عبد الله بن محمد بن سليمان المحسني الملقب "عبد الله المحسني" هو داعية سعودي حصل على الماجستير في الدكتوراه في الفقه المقارن من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

## الدروز

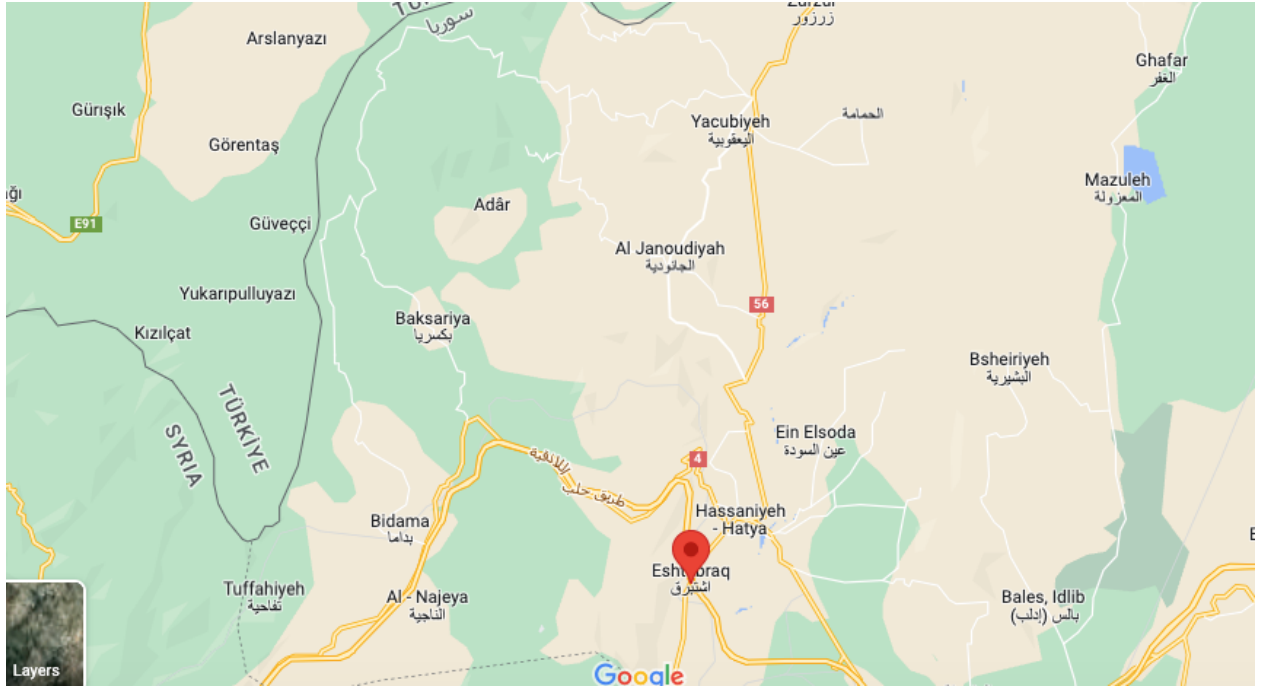
يقطن عموم الدروز في محافظة إدلب في منطقة تدعى جبل السماق، وأبرز القرى الدرزية هي قرى بنابل، قلب لوزة، بشندلنتي، كفر كيلا، كفر مارس، حطه وتلتيتا، كوكو وبشندلايا.



يقدر عدد الدروز فيها وفق السجلات الإدارية في محافظة إدلب بـ ١٥ ألف نسمة، وبعد موجة الاضطهاد والحروب المستمرة في إدلب وما أعقبها من بروز حالة تطرف تناقص العدد ليقارب ٩ آلاف نسمة. عموم المنازل التي خلت من الدروز الفارين من إدلب قطنتها أسر مسلمة سنية من أصول صينية "الإيغور"، وهم أعضاء الحزب الإسلامي التركستاني الذين جلبوا أسرهم وأسكنوها في بيوت السكان الأصليين، لتصبح منطقة جبل السماق المعقل الأهم للحزب الإسلامي التركستاني المعروف ببراعة عناصره في التخطيط الحربي، واستخدام وإنتاج المسيرات.

## العلويين

التواجد العلوي في إدلب كان محدودا في قرية كاوركو عند الشريط الحدودي التركي-السوري، وقرية اشتبرق بالقرب من مدينة جسر الشغور، وفعليا لم يبق أي علوي في كلتا القرينتين، وجميعهم هربوا منها بفعل النزاع الطائفي الواضح بين السنة والعلويين، وبدأت عملية الهروب منذ مجزرة شعبة الأمن العسكري عام ٢٠١١. يقطن قرية كاوركو مهاجرين سوريين من منطقة القلمون، في حين يسكن منازل العلويين في قرية اشتبرق، سنة نازحين من منطقة الرمل الفلسطيني في اللاذقية.



## الشبيعة

يتمركز الشيعة في قرى الزاهرة ونبل وتناقص عددهم بفعل الحرب الأهلية من ٥٠ ألف نسمة عام ٢٠١١، حتى ٧ آلاف نسمة في العام ٢٠١٨، حيث جرت عملية نقلهم من قراهم نحو مناطق النظام السوري ضمن اتفاق روسي-إيراني-تركي، لتصبح مناطقهم مناطق سنية صرفه، وعرف عن شبيعة هذه القرى تسليحهم الدائم، وقدرتهم على التصدي لكل الميليشيات الإسلامية السنية بفعل الدعم الحكومي والإيراني الدائم لهم.



وتم توطين ساكني تلك القرى بعد مغادرة إدلب في منطقة الزبداني ومحيطها، وهي منطقة مجاورة للحدود اللبنانية-السورية، وتعد إحدى أهم المعابر السرية التي استخدمها حزب الله في نقل السلاح من سوريا لسهل البقاع اللبناني خلال حرب تموز ٢٠٠٦.

## المسيحيين

يتوزع المسيحيين في ثلاث تجمعات رئيسية:

1. **مسيحي المدن:** ولطالما كانوا متواجدين في مدينتي إدلب وجسر الشغور، ولكنهم غادروها خلال فترة الحرب الأهلية ولم يتبق إلا اسرتين فقط، وفعليا مسيحي كلتا المدينتين لم يتعرضوا لمضايقات مباشرة، أو حالة ترهيب، ولكن البيئة السكانية برمتها باتت غير مناسبة لهم، فغادروها.

مسيحي القرى، ويمكن تقسيمهم لقسمين رئيسيين:

2. **القرى الخالية من المسيحيين:** وهي قرى تم نهبها وسرقتها من المليشيات الراديكالية المتطرفة عام ٢٠١٣، وهي قريتي (الغسانية، حلوز) وقد تعرضت كلتا القريتين لقصف مشدد من النظام السوري، مما جعل إمكانية الحياة فيها شبه مستحيلة، لانتشابه هذه القرى مع القرى المسيحية المجاورة لها والتابعة إداريا لمحافظة اللاذقية، وهي قرى (كنسبا، الغنيمية، القصب).

3. **القرى المأهولة:** وهي ثلاثة قرى (القنية، اليعقوبية، الجديدة) وفعليا هذه القرى كانت بمثابة مصايف أي قاطنيها لا يتجاوز عددهم في الشتاء ٦٠٠ شخص، ولكن خلال فترة الصيف يصل العدد لما يقارب العشرة آلاف. بعد الحرب الأهلية تناقص عدد قاطني القرى الثلاثة لما يقارب ٢٠٠ شخص فقط، ولم يزورها أي من المصطفين المسيحيين منذ العام ٢٠١٣ حينما أصبحت منطقة نزاع عسكري بين المعارضة والنظام.

كما صادر مكتب الغنائم كل ملكيات المصطفين المسيحيين، بحجة عدم إدارتهم لتلك الملكيات، وتم اعتبارها بمثابة غنمة حرب.

## الهيمنة السياسية في إدلب

تنقسم الهيمنة السياسية والإدارية في مناطق المعارضة السورية بين قطبين رئيسيين:

• **الحكومة المؤقتة:** وهي الجناح الإداري للإئتلاف الوطني السوري، وفعليا القوى النافذة فيه لتيار الاخوان المسلمين، وهذه الفئة تعادي كل من الشيعة والعلويين، وليس لديها توجه حاقد تجاه المسيحيين والدروز. وفعليا الحكومة المؤقتة لا تمتلك سطوة في محافظة إدلب، ولكن لديها تأثير عبر تمرير بعض الخدمات، ومن أبرزها التعليم، الصحة، بحكم وجود مكاتب رسمية لها في تركيا.

• **حكومة الإنقاذ:** وهي الحكومة التابعة إداريا لهيئة تحرير الشام "وهو تيار سلفي" ويتزعمها "أبو محمد الجولاني"، وتمتلك هذه الحكومة مطلق الصلاحيات فيما يتعلق بالشؤون الإدارية والأمنية، وتشرف على عموم الخدمات التي تقدمها الحكومة المؤقتة في محافظة إدلب. فعليا التيار السلفي ينظر للمسيحيين كذميين "أي من أهل الكتاب" ولكن لا يقبل بمساواتهم مع المسلمين، ومن المفروض وفق الشريعة الإسلامية أخذ جزية منهم. أما الدروز فهم فئة ضالة من المسلمين، ومن الضروري اعادتهم لطريق الصواب، مثلهم مثل الشيعة، لذا لم تبادر هيئة تحرير الشام بشن هجوم كاسح على قرى الشيعة في إدلب، بل اكتفت بعملية حصارها.

الجامع بين الحكومتين، أن كلاهما يعملان تحت غطاء أممي تركي، مع فارق واضح، وهو أن عموم مكاتب الحكومة المؤقتة تمتلك أعلاما تركية إلى جانب علم الثورة السورية، في حين مكاتب حكومة الإنقاذ تمتلك علم الهيئة وحدها، وفي بعض المكاتب نرى علم الهيئة وإلى جواره علم الثورة السورية.

## الضغط لدعم الأقليات

سعى مجلس الكنائس العالمي، وهو منظمة غير ربحية مقرها جنيف، منذ العام ٢٠١٢، لتعزيز حوارات بين القيادات الإسلامية السورية، وبعض النشطاء السوريين المسيحيين لهدف خلق نوع التفاهات لضمان أمن المسيحيين واستمرار وجودهم، إلا أن وعود تلك القيادات الإسلامية لم تثمر على أرض الواقع، حيث صودرت آملاك العديد من المسيحيين وأصبحت ملحقة بمكتب الغنائم، كما نزع الصليبان عن الكنائس، ومنعت الأجراس من القرع، وفرض الحجاب على النسوة.

ومع ذلك استمر النشطاء من أصول مسيحية "من أبرزهم: جميل دياربكري، بسام اسحاق، أيمن عبد النور، جورج اسطيفو" في تعزيز قنوات التواصل لهدف الدفع لحماية المسيحيين سواء عبر الأمم المتحدة، أو عبر عموم المنظمات المدنية العاملة في المجال الاغاثي في إدلب ومحيطها مثل منظمة Goal، وغيرها من المنظمات التي تتلقى تمويلات من الولايات المتحدة الأمريكية أو الاتحاد الأوروبي، كما أصرّ عدد من المثقفين السوريين من أصول مسيحية ودرزية على الظهور في قنوات الاعلام المعارضة للنظام السوري، مما أعطى انطبعا بين السوريين السنة، أن كلتا الاقليتين ليسا بالمطلق مع النظام السوري، وهذا بالتأكيد خفف من الاحتقان الطائفي تجاههما.

ومن زاوية ثانية كانت قيادات الاخوان المسلمين في خارج سوريا على دراية واضحة بضرورة حماية الأقليات، لذا لم تخلق خطابا معاديا لكلتا الطائفتين، لا بل على العكس سعوا لتلميع بعض أسماء كلتا الطائفتين مثل جورج صبرا "كمسيحي معارض، رغم أنه ماركسي"، وماهر شرف الدين "كدرزي"، وتم تسليمهم مناصب شكلية بغية تغييب الصورة النمطية عن إسلامية القيادة المعارضة.

عموم تلك الأمور لعبت دورا، في كسر النظرة العدائية من قبل مناصري الجولاني تجاه كلتا الأقليتين، أيضا جاء توجيه تركي منذ بداية عام ٢٠٢٢ لحكومة الجولاني بضرورة الانفتاح على الأقليتين المتواجدين في القرى المذكورة سالفًا.

هذا الأمر دفع الجولاني، للقيام بالإجراءات التالية:

### 1. عزل الشرعيين المتطرفين ضد كلتا الأقليتين، وهم:

- a. أبو الفتح الفرعلي: وهو جهادي مصري، وكان عضوا في المجلس الشرعي.
- b. أبو الحارث المصري: ويعد من صقور الشرعيين في تنظيم النصر، وقد سجن في مصر لمدة ٢٦ عاما بتهمة اغتيال السادات، وتم الافراج عنه في العام ٢٠٠٤، وانضم في العام ٢٠١٣ لحركة انصار الشريعة في ليبيا، لينتهي به المطاف عام ٢٠١٨ في إدلب.
- c. القاضي أبو محمد البدرابي: وهو قاضي شرعي، ولطالما عرف برفضه لأية شكاوى يقدمها المسيحيين والدروز.

### 2. تنسيق مع وجهاء من قرى تلك الأقليات، وزيارة الجولاني:

كلف أبو محمد الجولاني، شرعي تنظيم النصر المقرب من المخابرات التركية "مظهر الويس" بدراسة أحوال الأقليتين المسيحية والدرزية، ومع بحث الويس في الدعاوى التي تقدم بها أبناء كلتا الطائفتين للمحاكم الشرعية، عرف أسماء الشخصيات النشطة بينهم، ونظم موعد للقاء معهم، وطلب منهم أن يختاروا وجهاء إضافيين لسماع عموم وجهات النظر.

بداية شهر تموز/يونيو ٢٠٢٢، كان موعد اللقاء مع وجهاء الطائفة الدرزية في منطقة "جبل السماق"، وكانت المفاجأة أن "مظهر الويس" لم يحضر الاجتماع، بل كان "أبو محمد الجولاني". وفي منتصف تموز/يونيو ٢٠٢٢، حدث الأمر نفسه مع وجهاء الطائفة المسيحية، وكان اللقاء في قرية القنية. وقد وعد الجولاني بدراسة كل مطالب كلتا الطائفتين، حتى الوصول لحل لها جميعا.

### 3. نتائج الزيارة:

أعطت الزيارة نوع عالي من التطمين لكلتا الطائفتين، حيث طلب منهم تنظيم "مكتب معني بشؤون كل طائفة على حدى" تكون مهمة هذا المكتب التواصل المباشر مع حكومة الإنقاذ، بحيث يكون هذا المكتب مسؤولا عن تنظيم التالي:

- a. جدول بعموم ملكيات المسيحيين أو الدروز العقارية، مع تبيان مكان إقامة المالك، واسم القريب من الدرجة الأولى والثانية المكلف بإدارة ملكياته.
- b. جدول بملكيات المسيحيين أو الدروز الذين لا يمتلكون أقارب من الدرجة الأولى والثانية، بحيث توضع ملكياتهم تحت إشراف "مكتب الطائفة" الذي سيتقاضى نسبة ٢٠٪ من إيرادات تلك الملكيات.



- c. متابعة أية انتهاكات يتعرض لها أي من أبناء كلتا الطائفتين، ومحاولة حلها مع المجلس التشريعي.
- d. الترويج لضرورة عودة أبناء الأقليات لقراهم، لغرض الاستفادة من ملكياتهم بشكل مباشر.

طبعاً هذه الإجراءات إن تمت كما وعد الجولاني، فهي ستعني نهاية لنفوذ مكتب الغنائم على ملكيات المسيحيين والدروز، وسيؤسس مكانها مكتب معني بإدارة عمل كل من تلك الطائفتين، بحيث ينسق هذا المكتب نشاطه مع مؤسسات حكومة الإنقاذ، التي سيكون على كاهلها تنفيذ قرارات إخلاء المسلمين من الملكيات ذات الأصول المسيحية.

وهذا بالتأكيد سيكون عامل جذب للأقليات التي غادرت قراهم مجبرة، لأن تعود من جديد بصيغ تكفل كرامتها، وهذا بالتأكيد سيحسن من صورة أبو محمد الجولاني أمام متابعين الملف السوري من الجهات الدولية.